Contemporary Studies Journal in Education and Psychology
مجلة الدراسات المعاصرة في التربية وعلم النفس
P-ISSN: 3079-773X || E-ISSN: 3080-3772 || ISI: 0.746 || SJIF: 3.251 || SAJI 1.81
Vol 1, Issue 5, October 2025

تنشيط الحياة المدرسيّة ثقافيا بين المنشود والواقع

*Cultural Activation of School Life: Between Aspirations and Reality**

د. نصرالدين التواتي: المعهد العالي للدراسات التطبيقية في الإنسانيات بسبيطلة- جامعة القيروان، تونس.

Dr. Nasreddine Touati: PhD in Mediation and Animation Techniques, High college for Applied Studies in Humanities- sbaitla, Alqairawan University, Tunisia.

Email: Touatinasreddine7@gmail.com

* Receiving date: 11-07-2025.
* Accepting date: 29-08-2025.
* Publishing date: 15-09-2025.

P-ISSN: 3079-773X || E-ISSN: 3080-3772 || ISI: 0.746 || SJIF: 3.251 || SAJI 1.81
Vol 1, Issue 5, October 2025

الملخص

يهدف هذا المقال إلى التعرف على مكانة الأنشطة الثقافية في القوانين ومشاريع إصلاح منظومة التعليم في تونس بالإضافة إلى إشكاليات تنشيط الحياة المدرسيّة من وجهة نظر الفاعلين الثقافيين ودور النوادي وكل الأنشطة اللامنهجيّة في إصلاح المنظومة التربويّة. وقد تبيّن من خلال المقابلات مع ستة أساتذة تعليم، وستة أساتذة تنشيط أن غياب الأنشطة الثقافية سببه أساسا الدروس الخصوصيّة، وغياب الإمكانيات، وضعف الحوافز، وتضارب زمن عمل مؤسسات التعليم ومؤسسات التنشيط. وأكّد جميع أفراد العينة على أهميّة الأنشطة في تحسين مناخ المدرسة وبعث الحياة فيها. لهذا يجب فرضها في الحياة المدرسيّة وتخصيص إطار مختص للاهتمام بها ومرافقة التلميذ وتركيز خلايا إنصات.

الكلمات المفتاحية: الحياة المدرسيّة، التنشيط الثقافي، الوساطة، تونس.

Abstract:

This article aims to examine the status of cultural activities within legislation and reform projects of the education system in Tunisia, in addition to exploring the challenges of activating school life from the perspective of cultural practitioners, and the role of clubs and all extracurricular activities in educational reform. Interviews conducted with six schoolteachers and six cultural activity instructors revealed that the absence of cultural activities is primarily due to private tutoring, limited resources, weak incentives, and conflicting schedules between educational institutions and cultural centers. All participants emphasized the importance of such activities in improving the school climate and revitalizing school life. Therefore, cultural activities must be mandated within school life, with the appointment of specialized personnel to oversee them, provide student support, and establish listening and counseling units.

Keywords: School life, Cultural animation, Mediation, Tunisia.

المقدمة:

إثر استقلال البلاد وتشكيل أول حكومة وطنية بعد إعلان الجمهورية، لم تحظَ الثقافة بحقيبة وزارية أو حتى بحقيبة كتابة دولة. وأشرفت كتابة الدولة للتربية القومية على التوجهات الثقافية للدولة المتمثلة أساسا في "المحافظة على الإرث الثقافي والفني والتراثي التونسي وجعله وسيلة لرفع مستوى الإنسان التونسي... وإدخال الثقافة "عنوة" في أوساط غير متعودة عليها" (بالعربي، 2017: 189). وهذا ما يؤكدّ أنّ كلّا من المسألة الثقافية والمسألة التربوية مترابطتان ارتباطا عضويا ولا يمكن الفصل بينهما.

غير أنه أمام المهام الكبيرة الموكولة لكتابة الدولة للتربية القومية المنكبة أساسا على مسألة الإصلاح التربوي والبناء، لم تستطع التفرغ التام لتنفيذ التوجهات الثقافية. ولعل هذا كان سببا في إحداث كتابة الدولة للشؤون الثقافية بموجب الأمر 426 الصادر بتاريخ 11 ديسمبر 1961. وتم إثر إنشائها استرجاع جميع المؤسسات والمصالح التي انضوت منذ البدء تحت راية كتابة الدولة للتربية.

رغم انفصال كتابة الدولة للشؤون الثقافية عن كتابة الدولة للتربية بداية الستينات، عرفت المؤسسات التعليميّة في هذه الفترة أنشطة ثقافية مختلفة لعل أبرزها المسرح المدرسي. إذ خصص الحبيب بورقيبة في 7 نوفمبر 1962 جزءًا من خطابه الذي ألقاه في المسرح البلدي على ضرورة النهوض بهذا الفن وبالخصوص بالمعاهد الثانوية ولدى الناشئة. لهذا وقع سنة 1963 إدماج المسرح كمادّة وأداة تنشيط داخل المؤسسات التربوية. وعملت كل مؤسسة تربوية على إعداد عمل مسرحي تشارك من خلاله في مسابقات المسرح المدرسي على مستوى جهوي، ثمّ على مستوى قومي بالنسبة للأعمال الفائزة جهويا (بالعربي، 2017: 189، 190). كانت هذه الفترة مهمة في تشكيل نخبة من الممثلين المسرحيين الذين ساهموا فيما بعد في إعداد أعمال مسرحية مهمة ودراما تلفزيونية أو التمثيل فيها. عرف النشاط السينمائي المدرسي في نفس الفترة ازدهارا مهما. ويمكن أن نذكر بعض الأنشطة الأخرى مثل الإذاعة المدرسية وإصدار مجلات ثقافية أو حتى مجلات حائطية. إلا أنه بتدخل هذه الأنشطة في الحياة السياسية ارتأت الوزارة وضع حد لهذه التجارب. وبدأت الأنشطة الثقافية في المؤسسات التربوية في التراجع.

مشكلة الدراسة:

رغم أهميّة الأنشطة الثقافيّة في تحقيق التكامل بين التعلم المعرفي والتنشئة الاجتماعيّة، إلا أنها تشهد صعوبات كبيرة على مستوى التنظيم، والإشراف والمشاركة الفعليّة للتلاميذ. وإن كان التلميذ القاطن في المدن تتوفر له فرصة ممارسة أنشطة ثقافيّة في فضاءات مختلفة (المدرسة، نوادي الأطفال، دور الشباب والثقافة...)، يجد تلاميذ الأرياف أنفسهم محرومين من هذه الأنشطة لا بسبب

غياب مؤسسات التنشيط فقط وإنما غياب الأنشطة الثقافيّة في مدارسهم أيضا. من هنا تأتي أهميّة فهم تصورات الفاعلين التربويين من أساتذة التعليم والمنشطين في واقع التنشيط الثقافي في مؤسسات التعليم في تونس، ودوره في إصلاح المنظومة التربويّة. فإلى أي مدى يعد إدماج الأنشطة الثقافيّة في المؤسسات التعلميّة سبيلا من سبل إصلاح المنظومة التعليميّة؟

ينقسم هذا السؤال إلى أسئلة فرعيّة هي:

- ما هي مكانة الأنشطة الثقافيّة في التشريعات التربويّة ومشاريع الإصلاح؟
- لماذا تغيب الأنشطة الثقافيّة في مؤسسات التعليم؟ وكيف يعبر الأساتذة والمنشطون عن دورها في إصلاح المنظومة التربويّة؟

المنهج:

اعتمدنا لهذا البحث المنهج الكيفي وهو منهج ينتج معطيات وصفية "انطلاقا من كلمات الناس المنطوقة أو المكتوبة... إنه بحث يقوم على جمع نصوص وتحليلها وتأويلها بهدف اكتشاف أنماط ذات دلالة تصف ظاهرة معيّنة" (فزة واحجيج، 2019: 35). لهذا قمنا بإجراء مقابلات مفتوحة مع عينة مع الفاعلين الثقافيين من أساتذة التعليم والمنشطين قدّر عددهم باثني عشر (ستة أساتذة تعليم، وستة أساتذة تنشيط) كانت لهم تجربة الإشراف على أنشطة ثقافيّة في مؤسسات التعليم.

الدراسات السابقة:

اهتمت العديد من البحوث العلمية بالإصلاح التربوي من خلال إدماج الأنشطة الثقافية في المؤسسات التربوية. فقد اهتم جوليان نوتر Julien Netter، بالشراكة بين وزارة التربية والثقافة وضرورة إشراك شركاء خارجيين لدعم الأنشطة الثقافية في المؤسسات التربوية، إذ يشير إلى أن "القانون المتعلق بإصلاح المدارس" لعام 2013 ... ينص على أن تقوم المدارس العليا للأساتذة والتربية بتعزيز الوعي بالعمل مع أطراف أخرى غير تلك التي تعمل في نظام التعليم الوطني، ولا سيما من الأوساط الثقافية والفنية والرياضية والمدنية. وتطرق أيضا إلى إصلاح الزمن المدرسي الذي انطلق في فرنسا سنة 2013 (Julien, N. 2016: 68).

من جانبه أكّد "يوان ديرفون" على ضرورة تكوين معلمي المستقبل على التنشيط والتربية المدنية. ورغم أن الأنشطة الثقافية تساهم في تحسين المناخ المدرسي، وتتيح للشباب تعلما مختلفا عن التعلم داخل الفصول، وتعده لحياته المستقبلية وتساعده على اكتساب الثقة بنفسه فإن المدرسة تعد "حتى اليوم مكانًا لاستهلاك الدروس وليس مكانًا حقيقيًا للحياة" (Yoan, D., 2014).

وأكّد أن نادو (Anne, N., 2021)، في كيباك كندا، على أن الثقافة يجب أن تلعب دورا أكبر في المدارس من أجل تعزيز الديمقراطية الثقافية. وأن هذا الإدماج يتأثر بتصور المعلم للدور

الثقافي للمدرسة ورؤيته للتلميذ. وفي نفس الإطار وفي نفس المكان طرح "كاتيا فورنارا" السؤال البحثي التالي "ما هي الرسالة الثقافية للمدارس؟" واعتبر أن إثارة هذا المشكل ليس جزءًا من إصلاح المنظومة التربوية في كندا فقط بل في العالم، ف "أزمة التعليم ليست سوى عرض من أعراض شيء أكثر خطورة، وهو ما يتعلق بالجانب الثقافي أكثر من التعليم في حد ذاته". وقد أكّد أنه "على غرار الاتفاقيات الوزارية، نحتاج إلى إنشاء شراكات مجتمعية. كل مؤسسة ثقافية – مكتبة، متحف، دار الثقافة، سيرك، ورشة عمل فنية، فرقة مسرحية، معهد موسيقي، فرقة رقص، إلخ. –يجب أن تكون مرتبطة بمدرسة أو أكثر..." (Fornara, K., 2006).

عربيا اهتمت خلود السباعي بالوساطة المدرسية واعتبرت أن "المؤسسات التعليمية إحدى المجالات الأكثر تضمنا للامساواة، والأكثر تجسيدا لغياب العدالة الاجتماعية... إذ غالبا ما نجدها في ظل هوس الاهتمام بالنقاط والمعدلات المرتفعة، تؤكد على التلقين متناسية المهام التربوية الأساسية التي تهدف إلى العناية بالفرد في شموليته... من حيث... التربية على القيم التي تعلم "كيف نعيش" أو "كيف يجب أن نعيش" (السباعي، 2013: 24– 25). وتشير إلى أن مشروع الوساطة في مؤسسات التعليم يتطلب التفرغ على المستوى المادي والتقني وبالتالي من الصعب أن يقوم بهذه المهمة المدرسون أو الإداريون.

أهداف البحث:

بناء على ما تم ذكره أعلاه سنسعى من خلال هذا البحث إلى الوقوف على أهميّة الأنشطة الثقافيّة في القوانين ومشاريع إصلاح المنظومة التربويّة في تونس. وفهم الإشكاليات المرتبطة بتنشيط الحياة المدرسيّة ودورها في إصلاح ما عجز عن إصلاحه تغيير المناهج الدراسيّة والزمن المدرسي... من وجهة نظر الفاعلين الثقافيين.

خطة البحث:

ننطلق في هذا البحث من دراسة تطور الاهتمام بالحياة المدرسية منذ الاستقلال من خلال العودة إلى بعض الأدبيات والقوانين المنظمة للتربية في تونس. وننتقل في مرحلة أخرى للحديث عن صعوبات إدماج الأنشطة الثقافية في المؤسسات التعليمية من وجهة نظر الأساتذة. أما في الجزء الثالث فنتطرق إلى تصوراتهم لدور الأنشطة الثقافية في إصلاح المنظومة التربويّة والتطرق إلى أهم المواضيع التي يطرحونها في نواديهم.

1- الحياة المدرسية في المنظومة التربوية التونسية: تطور في التقنين لا يعكس ثراء الأنشطة

عرفت الحياة داخل المؤسسات التربويّة نشاطا كبيرا، كما أشرنا إلى هذا أعلاه. كان هذا قبل بداية الاهتمام بمفهوم الحياة المدرسية في القوانين المنظمة للمسألة التربوية في تونس. ذلك أن عبارة الحياة المدرسية ذكرت أول مرة في قانون 1991. وتكرر ذكرها في القانون التوجيهي لسنة 2002، إذ خصص فصل كامل لتحديد مفهوم الحياة المدرسية وأهدافها. وفي سنة 2004 تم تخصيص أمر لتنظيم الحياة المدرسية، فلم يعد ذكرها يقتصر على المناشير فقط (الحبيب، 2022: 34- 35).

نشرت وزارة التربية سنة 2007 كتيبا يحمل عنوان "الإصلاح التربوي الجديد..." تطرق في أحد محاوره إلى النهوض بالفنون والأنشطة الثقافية. إذ ورد في هذه الوثيقة أن للفنون والأنشطة الثقافية "دورا في تعلم العيش معا وفي خلق مناخ يحفز على التعلم. فهي جزء لا يتجزأ من العملية التربوية ورافدا من روافدها المتعددة التي قد يجر الإخلال بأحدها إلى تداعي رسالة المدرسة" (وزارة التربيّة، 2007: 59). وتشير هذه الوثيقة أن الفنون والتنشيط الثقافي يهدف إلى تنمية مختلف أشكال ذكاء المتعلمين، وإثراء ثقافتهم العامة، والتدريب على العيش داخل المجموعة والعمل المشترك. وقد تم وضع خطة لدفع التنشيط الثقافي في المؤسسات التربوية. تتمثل في تنويع الأنشطة وتوسيع دائرتها ليستفيد منها أكبر عدد ممكن من التلاميذ. وتنظيم زيارات للمتاحف وقاعات العرض ومعارض الفنون التشكيلية. وتطوير صيغ الشراكة مع المؤسسات التربوية. غير أن التدقيق في هذه الخطة يبيّن أن وزارة التربية في هذه الفترة اهتمت ببعث النوادي في المدارس الإعدادية والمعاهد وأهملت المدارس الابتدائية. إذ تشير صراحة إلى "بعث لجنة للعمل الثقافي بكل مدرسة إعدادية ومعهد ثانوي توكل لها مهمة برمجة وتنسيق النشاط الثقافي المنبثق عن مختلف النوادي داخل المؤسسة التربوية وإنجازه ومتابعته وتقييمه" (وزارة التربيّة، 2007: 59). وتشير إلى أنه منذ السنة الدراسية 2001- 2002 تم تركيز نوادي مختلفة في المدارس الإعدادية والمعاهد. في حين كان من المفروض التركيز أكثر على المدارس الابتدائية وخاصة منها الريفية، ذلك أن تلاميذ المناطق الحضرية تتوفر لهم فضاءات تنشيط مثل نوادي الأطفال ودور الثقافة... في حين تغيب هذه المؤسسات عن تلاميذ الأرياف.

لعل ما تغاضت عنه الوثيقة المشار إليها أعلاه تطرقت إليه الوثيقة الإرشاديّة، التي نشرتها الإدارة العامة للمرحلة الأولى من التعليم الأساسي سنة 2009، الموسومة بالحياة المدرسية بالمدارس الابتدائية. تهدف هذه الوثيقة إلى الإسهام في نشر ثقافة الحياة المدرسيّة من خلال التعريف بها وبمجالاتها وأنشطتها. وتوفير أدوات عمل تساعد القائمين عليها على تنشيطها ومتابعتها وتقييمها (الصّغير وآخرون، 2009: 5). وتشير إلى أنه من بين معايير تقييم جودة الحياة المدرسية: أن يؤمّن التنشيط الثقافي، وتقترح أنشطة رياضية متنوعة على التلاميذ (الصّغير وآخرون، 2009:

27). ومن بين الآليات المقترحة لترسيخ السلوك الحضاري "دعم الأنشطة الثقافية ... بما يمكن المتعلم من صقل مواهبه وبناء شخصيته، ويتيح له فرصة التمرس بضرورات الحياة مع الغير... وتشجيع المتعلمين على الانخراط في... النوادي التي تعمل وتنشط في كنف المؤسسة التربوية وتشريكهم في تسييرها وإدارة شؤونها" (الصّغير وآخرون، 2009: 31).

وخصص في نفس الوثيقة قسم عملي يشير إلى الأطراف الداخلية والخارجية المتدخلة في الحياة المدرسية. تتمثل الأطراف الداخلية في إدارة المدرسة، المدّرسون، التلاميذ، العملة. وتتكون الأطراف الخارجية من الأولياء، الجمعيات ذات العلاقة، والجماعات المحلية. تأمن هذه الأطراف انفتاح المدرسة على محيطها. وحددت مسؤولية كل طرف. ففيم يخص التنشيط يكلف المدير بالحرص على تواجد التنشيط الثقافي ويدعم نواديه الموجودة داخل فضاء المؤسسة أو خارجه، ويشجّع التلاميذ على تنظيم زيارات ميدانيّة لفضاءات ثقافية مختلفة وعلى المشاركة فيها، ويحرص على إبرام اتفاقيات شراكة مع الفاعلين الثقافيين، ويعدّ تقريرا سنويا يوثّق فيه مختلف الأنشطة المتصلة بالحياة المدرسيّة، كما يعمل على التعريف بالمبادرات الناجحة. أما العامل فهو مطالب بتوفير الظروف الماديّة الميسّرة لحسن سير الأنشطة الموازية داخل الفضاء المدرسي. واقتصرت مهام المدرسين على تشخيص واقع التلاميذ والمساهمة في اقتراح مشروع المؤسسة بناء على نتائج التشخيص. ويحرصون في مرحلة أخرى في تحديد أهداف المشروع وتنفيذه وتقييمه واقتراح تعديلات. ومن واجب التلاميذ وحقوقهم الاطلاع على مشروع المؤسسة والانخراط في تحقيق أهدافه، والإقبال على مختلف الأنشطة الثقافية والترفيهية المتوفرة في المدرسة.

تساهم الأطراف الخارجية أيضا في تنشيط الحياة المدرسية. إذ يمكن للأولياء تنشيط بعض النّوادي بالمؤسسات التربوية حسب إبداعاتهم، ويدعمون مشروع المؤسسة، ويحضرون التظاهرات والاحتفالات المدرسية. وأخيرا تضطلع الجمعيات والجماعات المحليّة بمهمة دعم موارد وأنشطة مؤسسة التّعليم العمومي، وتنشيط الحركة الثقافية والرّياضيّة والعلميّة داخل الفضاءات التربويّة (الصّغير وآخرون، 2009: 79- 82).

وفي إطار دفع وزارة التربية منظوريها للمساهمة في تنشيط الحياة المدرسية وضعت عددا من الوثائق المرجعية لتنشيط النوادي التربوية الثقافية، يمكن أن نذكر على سبيل الذكر لا الحصر "دليل تسيير نوادي التربية على المواطنة وحقوق الإنسان" (عبد المولى، 2014) الذي أعدته في إطار شراكة مع المعهد العربي لحقوق الإنسان. يضع هذا الدليل بين يدي الراغبين في تنشيط نادي تربية على المواطنة أدوات ويقترح بعض أساليب التنظيم بدءا بالتأسيس، مرورا بآليات اشتغال لجان التسيير، وانتهاء إلى أساليب التنشيط التي تحرص على التعلم بالوضعيات وإنجاز المشاريع. واقترح أنشطة تدفع إلى الحث واكتشاف المعلومة الحقوقية (عبد المولى، 2014: 5).

وضعت، وزارة التربيّة أيضا، في إطار شراكة مع وزارة الصحة ووزارة الشؤون الاجتماعية ومكتب اليونيسيف بتونس دليلا يحمل عنوان "التربية على مهارات الحياة اليومية أسس مرجعية ونماذج تطبيقية" (بالراشد وآخرون، 2019)، يتناول هذا الدليل إدماج المهارات الحياتيّة ضمن أنشطة الحياة المدرسيّة انطلاقا من مدار اهتمام مركزي ألا وهو "تعاطي المواد المؤثّرة عقليّا والسلوكيات المحفوفة بالمخاطر" (بالراشد وآخرون، 2019: 8). وقد أشير في مقدمته إلى أن الأنشطة في المؤسسات التربوية عرفت تراجعا ملحوظا، لهذا ضمّ الكتاب قسما مرجعيا لنوادي التربية على المهارات الحياتيّة. وبناء على شراكة مع وزارة البيئة وفي إطار مشروع تونسي برتغالي لتطوير التربية من أجل التنمية المستدامة والذي ذكر فيه أن هذا الدليل وضع بهدف مرافقة المدرس/ المنشط وهو يخوض تجربة تنشيط نادي التنمية المستدامة لفائدة مجموعة من الأطفال المتراوحة أعمارهم بين 10 سنوات و16 سنة (وزارة البيئة ووزارة التربية، 2021: 3).

فضلا عن ذلك، تم إحداث رتبة مستشار عام خبير في الحياة المدرسيّة بالمؤسسات التربوية، من مهامه تقييم أنشطة الحياة المدرسيّة بالمؤسسات التربويّة حسب الأمر الحكومي عدد 781 لسنة 2018 المؤرخ في 21 سبتمبر 2018. تكفي العودة إلى هذا الأمر حتى نكتشف أن المهام الموكولة لهذا الخبير تخص التوجيه المدرسي والجامعي أكثر من تخصصها في تنشيط الحياة المدرسيّة، فمن بين 12 مشمولية ذكرت الأخيرة مرة واحدة. بينما نجد في مهام المستشارين العامين في الإعلام والتوجيه الجامعي المساهمة في رصد ومتابعة الظواهر السلوكية داخل المؤسسات التربوية، والمساهمة في أعمال مكاتب مرافقة التلميذ، والإحاطة بالتلاميذ ذوي الصعوبات ومرافقتهم، والمساهمة في إعداد مشروع المؤسسة التربوية. هذا ولا بد من الإشارة إلى أنه حسب نفس الأمر يذكر أنه "تفتح في المراكز المفتوحة للتناظر سنويا ويجب ألا يتجاوز عدد المستشارين العامين الخبراء في الحياة المدرسية 35٪ من العدد الإجمالي للمستشارين العامين في الإعلام والتوجيه المدرسي والجامعي". يمكن أن نتساءل هنا هل توجد هذه الخطة في كل مدرسة ابتدائية ومدرسة إعدادية ومعهد؟ أو كم من مؤسسة تربوية تفتقر لإطار مهمته الأساسية مراقبة الظواهر السلوكية، ومرافقة التلاميذ ذوي الصعوبات؟

خصص في مشروع الإصلاح التربوي سنة 2016، الذي ورد في الكتاب الأبيض المتكون من تسعة أهداف استراتيجية، الهدف الاستراتيجي الخامس لتطوير الحياة المدرسية. وأبرز الأهداف المزمع تنفيذها هي ملائمة زمن التعليم للأنشطة الثقافية والرياضية والترفيهية. وكإجراءات تنفيذ نصّ هذا المشروع على تخصيص حصّتين مسائيّتين كلّ أسبوع للأنشطة الثقافيّة والرياضيّة بكلّ مؤسّسة. ووضع إطار شراكة استراتيجيّة بين وزارة التربية والوزارات ذات العلاقة [وزارة الشباب والرياضة/ وزارة الثقافة/ وزارة المرأة والأسرة والطفولة/ وزارة الصحّة]. وهذا الإجراء يمكن أن يتدعم أكثر بعد وضع أمر ينظم المجلس الأعلى للتربية. كما أشار إلى وضع إطار قانونيّ للأنشطة الثقافيّة والرياضيّة بالمؤسّسات التربويّة.

وتمثّل الهدف العام الثاني، من المشروع المشار إليه أعلاه، في تحويل المدرسة إلى فضاء جاذب وإرساء "المدرسة الصديقة". واهتم الهدف العام الثالث بتطوير العمل الجمعياتي في الفضاء المدرسي. وتمثلت أهدافه الإجرائيّة في إقرار إلزاميّة الأنشطة الثقافيّة والرياضيّة في كافة المؤسّسات التربويّة. وعقد شراكات مع الأطراف المعنيّة. وتطوير آليّات العمل التطوّعيّ في المؤسّسة التربويّة. وبعث نوادي التربية على المواطنة (وزارة التربيّة، 2016: 136- 138).

نستنتج مما ذكر أعلاه أن الاهتمام بالحياة المدرسية وتنشيطها على المستوى النظري والقانوني عرف تطورا ملحوظا. لكن هل أن الحياة المدرسية تستحق وجود ترسانة من القوانين وأوامر التنظيم؟ وماذا إن وجدت القوانين ولم تعرف الحياة المدرسية تحسنا؟

2- مشكلات إدماج الأنشطة الثقافية في المؤسسات التعليمية

إن الملاحظة لواقع الأنشطة الثقافية في المؤسسات التعليمية تظهر ضعف هذه الأنشطة إن لم نقل انعدامها. وهذا ما أشارت إليه حميدة شاوش، في بحث حول الوضع الراهن للتنشيط الاجتماعي والثقافي، إذ تقول "من منا لا يعلم أن آلاف النوادي التي تملأ جداول الإحصاءات هي، في معظمها، مجرد أوهام؟ من منا لا يعلم أن جلسات الأنشطة الثقافية في المدارس الابتدائية مرادفة للتوقف عن الدراسة؟..." (Chaouch, H., 2018: 50). وقد ورد في تقرير منظمة اليونيسيف أن الأنشطة الثقافية والرياضية "تحتل... مكانة محدودة للغاية في تصور المعلمين لمفهوم الدعم وممارستهم له" (Unisef, 2014: 61).

يقتصر الدعم بالنسبة لأغلب الأساتذة على الدروس الخصوصية فهم يجتهدون في تأمينها حتى خارج الأطر القانونية. وتعد دروس الدعم أكبر عائق أمام ممارسة التلاميذ للأنشطة الثقافية سواء داخل المؤسسات التعليمية أو خارجها. هذا ما أكده أغلب المستجوبين سواء من أساتذة التنشيط أو أساتذة التعليم (الابتدائي والثانوي). يشير في هذا الإطار الأستاذ عادل أن التلاميذ انطلقوا في النشاط في نادي الإنجليزية بكثير من الحماس. لكن هذا الحماس ما لبث أن قلّ بسبب الدروس الخصوصية "تلاميذ الشعب العلميّة دائما ما يدرسون مساء يومي الجمعة والسبت دروس خصوصيّة، لهذا لا يلتزمون دائما بالحضور". وأشارت مديرة دار الشباب إلى أنه حتى أمسية يومي الجمعة والسبت التي كانت متنفسا للشباب لممارسة الأنشطة وارتياد المؤسسة، أصبحت مليئة بدروس الدعم. وأصبحت دار الشباب مليئة في وسط الأسبوع أكثر منها آخره. ولم تعد الدروس الخصوصية حكرا على شباب المعاهد أو المدارس الإعدادية، فحتى تلاميذ المدارس الابتدائية لم يعد لهم وقت لممارسة الأنشطة سواء الثقافية أو الرياضية. هذا ما أكده منير (أستاذ تنشيط) مشيرا إلى أنه حتى المشرفين على أكاديميات كرة القدم أصبحوا اليوم يعانون من الدروس الخصوصية. فبعد انطلاق حصة التدريب بدقائق يأتي مجموعة من الأولياء لإخراج أبنائهم بعد أن تبين لهم أن ذلك الوقت موعد درس دعم.

رغم أن التدرب في تلك الفضاءات ليس مجانا عكس الأنشطة في مؤسسات التنشيط. وإن زاحمت الدروس الخصوصية نشاطا مدفوع الأجر فكيف لها ألا تزاحم نشاطا ثقافيا مجانيا؟ هذا ما يظهر أن الأنشطة الثقافية لا تزال تحتل مكانة ثانوية بالنسبة للأولياء مقارنة بالدروس الخصوصية.

يواجه بعث النوادي أو تنظيم الأنشطة الثقافية مشكلات أخرى. لعل أبرزها قلة الوقت فالمعلم مثقل بالحصص حسب تعبير بلال (أستاذ تعليم ابتدائي) والزمن المدرسي مرهق، ولا وجود لأوقات مخصصة فعلا للنشاط الثقافي كنشاط رسمي. ولا توجد إمكانيات وتجهيزات كافية حسب وسيم (أستاذ تعليم ابتدائي). فنادي مثل المسرح يتطلب ركح، "اكسسوارات"، ونادي السينما يتطلب أجهزة تصوير. ويشير الصحبي (أستاذ تعليم ابتدائي) المشرف على نادي الصحفي الصغير أنه انطلق في التجربة بمجلة حائطية ثم أراد تطويرها إلى مجلة ورقية. وأنه لم يجد الإمكانيات لنشر تلك المجلات، رغم أهمية الأعمال، ليكتفي بطباعة نسخة واحدة، تتكلف الواحدة منهم بين 30 و35 دينارا، ويحتفظ بها في بيته، وقد وصل إلى عشرة أعداد بمعدل عدد كل سنة. هذا وقد عبرت المسؤولة عن تنشيط الحياة المدرسية في المندوبية مرجع نظر عمل الأستاذ سابق الذكر أنه لا مجال لدعم هذه المبادرات، وأن الوزارة لا تطبع إلا الكتاب المدرسي. وقد نصحت الأستاذ بنشر الأعمال إلكترونيا. يحيلنا هذا إلى مشكل آخر وهو انعدام تكوين المعلم، لا في التكنولوجيات الحديثة كما هو الحال بالنسبة للصحبي الذي أصبح يفكر في القيام بدورة تكوينية في الإعلامية إذ قال "ليس لدي تكوين كاف في التكنولوجيا الرقميّة... لهذا أفكر في أن أدرس في مركز تكوين خاص"، وإنما أيضا في تنشيط النوادي إذ يشير وسيم إلى أنه "لا يوجد تكوين في كيفية تنشيط النوادي". ولم يحاول الصحبي بعث نادٍ آخر كالمسرح والسينما لأنه ليس له تجربة في هذه الأنشطة. وتشير في هذا الإطار حميدة شاوش أن المعلمين المشرفين على النوادي "لا يمتلكون بالضرورة موهبة التنشيط، ويواصل معظمهم العمل "كمعلمين" خلال الوقت المخصص لأنشطة النادي" (Chaouch, H. 2018: 52).

ويعاني العدد القليل من الأساتذة المشرفين على الأنشطة الثقافية في المؤسسات التعليميّة من غياب التحفيز. يرجع بلال غياب النوادي التربويّة إلى "عدم وجود حوافز مالية أو معنوية كافية عبارة ساعات إضافية بمبلغ رمزي ضئيل وخلاصه دائما متأخر على ثلاث مرات". ولا بدّ من الإشارة هنا أن مبلغ ساعة تنشيط تقدرها وزارة التربيّة بأربعة عشر دينارا (Chaouch, H. 2018). وإضافة إلى ضعف المنحة يجد المشرف على تنشيط نادٍ نفسه مجبرا على توفير بعض المواد الضرورية. ولعل هذا يعد سببا رئيسيا في غياب الاستمرارية. زد على ذلك يتعرض أصحاب المبادرة من سخرية الكثير من الزملاء. هذا ما عبر عنه الصحبي إذ سأله بعض الزملاء "أنت أش لزك في العمر هذا تعمل في النوادي وتخرج في التلامذة وتنشط ...". يمكن تفسير هذه السخرية بما كتبه الباحثون في العلوم الاجتماعيّة حول البنية الذّهنية للشخصيّة التونسيّة. فقد

تحدّث المنصف ونّاس على أن هوس التونسي بالثروة السريعة لا يمكن فهمه بمعزل" عن احتقار المجهود، سواء كان عضليا أو فكريّا وعن احتقار لأهله" (ونّاس، 2014: 109).

وتلعب الإدارة دورا مهما في تفعيل الأنشطة الثقافيّة والنوادي في المؤسسات التعليمية. يكون هذا من خلال تحفيز الأساتذة على بعث النوادي، وابرام اتفاقيات شراكة مع مؤسسات التنشيط. إلا أن الأساتذة يشتكون من تعامل الإدارة مع هذا المجال، فهي غير مبالية وتعتبر الأنشطة الثقافية أنشطة ثانوية، بالنسبة لبلال. و"لا يوجد دعم لوجستي، وتربوي بما فيه الكفاية" على حد تعبير محمد أمين (أستاذ تعليم ابتدائي). ورغم إبرام مديري المؤسسات التعليمية لاتفاقيات شراكة في افتتاح كل سنة دراسية مع مديري المؤسسات التنشيطية، إلا أن هذه الاتفاقيات لا تعني تطوير الأنشطة الثقافيّة في المؤسسات التعليمية. يعود هذا أساسا لتضارب وقت عمل المؤسسات التعليمية ومؤسسات التنشيط. يكفي الإشارة إلى أن توقيت مؤسسة دار الشباب مثلا من التاسعة صباحا إلى منتصف النهار، ومن الساعة الثانية ظهرا إلى الخامسة. يمكن أن نتساءل هنا مع أي شباب ستتعامل هذه المؤسسات والشباب التلمذي في تلك الأوقات في قاعات الدرس؟ ومن سيحتضن الشباب بين ساعة منتصف النهار والثانية ظهرا؟

عبرت مديرة دار الشباب حفوز عن رغبة إطارات المؤسسة في احتضان الشباب التلمذي في تلك الفترة الزمنية لكن يجب أن يستند فتح المؤسسة إلى نص قانوني. وهذا ما طالبت به إطارات هذه المؤسسة في إطار مشروعهم لسنة 2023 الموسوم ب "شباب بين نحت ذاته وترميم واقعه". تقول في هذا الإطار المديرة: "نريد احتضان الشباب وعدم تركهم في الشارع. حتى الفتيات لا تتوفر لهن الحاجات الأساسيّة بين 12:00 و 14:00 لا يجدن دورة مياه، ولا أين يتناولن إفطارهن... ولا أين يشغلن أوقاتهن بمسألة مفيدة...". ثم إن تلاميذ المؤسسات التعليمية البعيدة عن مؤسسات التنشيط ليس باستطاعتهم الذهاب إليها في ساعة الفراغ بين حصص الدراسة. وتظهر مشكلة أخرى بالنسبة للشباب الوافد على مؤسسات التنشيط في ساعات الفراغ وهي ما الأنشطة التي يمكن أن تقوم بها معهم في أقل من ساعة؟ يشير في هذا الإطار أستاذ التنشيط عبد الرحمن "يأتيك، مثلا، شاب لا يدرس بين التاسعة والعاشرة، ماذا ستقدم له في ساعة. وهو أساسا يصل إلى المؤسسة 09:20 ويغادرها 09:45". من جانب آخر أشار لنا أساتذة التنشيط أن مديري المؤسسات التعليمية يطلبون منهم القيام ببعض الأنشطة للتلاميذ في المؤسسة التعليمية. ورغم أهميّة هذه الخطوة إلا أن عمليّة تحوّل المنشط إلى المؤسسة التعليمية لا يخلو من مشكلات، خصوصا إذا كان النشاط مساء الجمعة في وقت تكون فيه مؤسسات التعليم مغلقة ودون إطارات.

يصطدم بعث النوادي بصفة خاصة وتنظيم الأنشطة الثقافية بصفة عامة في جميع المؤسسات التعليمية بعديد الصعوبات. لكن تبقى المدارس الريفية تعاني مشكلات أكثر من المدارس الحضريّة.

تتجلى هذه المشكلات في صعوبة انتقال الأستاذ إلى المدرسة، وعدم توفير وسيلة نقل لتحول التلاميذ لحضور تظاهرة، وغياب الدعم، وعزوف التلاميذ. هذا ما أشارت إليه شيماء وهي تروي كيف تجبر على انتظار مدير المدرسة أو أحد الزملاء لإيصالها لمكان تجد من خلاله وسيلة نقل. لكن ليست هذه المشكلة الوحيدة فالولي في المدن يساعد على هذه الأنشطة والمعلمين يتعاونون فيما بينهم لإنجاح تظاهرة معينة. أما في المدارس الريفية فعلى من يبادر بتنظيم نشاط ثقافي أو تأسيس نادي ألا يفكر إلا في إمكانياته هذا ما عبرت عنه شيماء بقولها "في الريف كان مش تخدم حاجة عمل على روحك وعلى فلوسك". ولا تتوقف المشكلات عند هذا الحد فبعد كل التضحيات التي يقدمها الأستاذ المنشط في تأطير تلاميذه يحرمون من التحول لحضور تظاهرة معينة. هذا لأن المندوبيات ترسل وسائل نقل للمدارس الحضرية أو شبه الحضرية أما مدارس الأرياف وخاصة منها البعيدة فلا. أما فيما يخص التلاميذ، فإن كان العزوف عن حضور الأنشطة الثقافية يشملهم جميعا نتيجة عدم وجود وقت مخصص للتنشيط الثقافي وأنه غالبا يقع بعد حصص الدروس وفي أوقات الفراغ، فإن تلميذ المدارس الريفية يكون أكثر عزوفا إذ "لا يمكنه الالتحاق مساء السبت من أجل نشاط ثقافي في مدرسة تبعد عنه أكثر من سبعة كيلومترات" على حد تعبير الأستاذ بلال. ولا يقتصر الأمر على أطفال التعليم الابتدائي فحتى تلاميذ المدراس الإعداديّة والمعاهد يعانون تقريبا من نفس المشكل. إذ لا تتوفر أنشطة ثقافيّة بالنسبة للتلاميذ المقيمين. ليس هذا فقط، فهم محرومون حتى من مشاهدة التلفاز. يتساءل هنا أستاذ التنشيط منير "كم سيتكلف جهاز تلفاز وهوائي في كل مؤسسة تعليمية على وزارة التربية؟" مشيرا إلى أنه شهد حالة هروب بعض التلاميذ من المبيت لمشاهدة مباراة المنتخب الوطني في كأس إفريقيا. وأنهم احتجوا على المدير، بعد أن تفطن لهم، وعبروا عن إحساسهم بالتمييز. هذا ما جعل المدير يعتذر من التلاميذ. يشير نفس المنشط في إطار آخر عن عدم تفاعل مديري بعض المؤسسات التعليمية مع مبادراتهم. فبعد أن عبر عن رغبته في تهيئة مساحة من المؤسسة التعليمية لتكون فضاء يسمح بجلوس التلاميذ، وسيكون هذا المشروع بمساهمة إطارات مؤسسة التنشيط وتلاميذ المعهد. رفض المقترح بتعلة أن المساحة هي ممر أحد إطارات المؤسسة لمسكنه الوظيفي. نتساءل هنا كيف يمكن أن يشعر التلميذ بانتمائه إلى مؤسسة وهو لم يقم فيها بأي عمل تطوعي؟

أخيرا، تغيب الأنشطة الثقافية في المؤسسات التعليمية. ويحرم التلاميذ وخاصة تلاميذ المناطق الريفية من الأنشطة. تقول في هذا الإطار حميدة الشاوش "أن معظم التلاميذ المسجلين في المدارس الإعداديّة والثانوية، وخاصةً في المناطق المحرومة، لا يستطيعون الوصول إلى هذه الأنشطة الترفيهية. فلا ساعات الدراسة ولا المسافات المقطوعة يوميًا تسمح لهم بهذه الرفاهية" (Chaouch, H. 2018: 52). لكن رغم عديد المشكلات التي سبق الإشارة إليها لا يزال يقدم عدد قليل في الأساتذة سواء في التعليم الابتدائي أو الثانوي بعض الأنشطة ويسيّرون بعض النوادي ويتحصلون

على جوائز. ولا يزال بعض المنشطين يعملون في إطار شراكة مع مؤسسات تعليم ويساهمون في تأطير التلاميذ وحمايتهم من السلوكات المحفوفة بالمخاطر. سنسلط الضوء في الجزء الثالث من هذا البحث على هذه التجارب، وعن دور الأنشطة ولو بجزء بسيط في إصلاح المنظومة التعليميّة.

3- دور الأنشطة الثقافية ومرافقة التلاميذ في إصلاح المنظومة التعليميّة

شملت المقابلات التي أجريناها أساسا مع أستاذة تعليم ابتدائي سبق لهم أن تحصلوا عن جوائز سواء إقليمية أو وطنية خاصة في نوادي السينما. وقد استفسرنا عن الدور الذي يمكن أن تلعبه الأنشطة الثقافيّة في الحياة المدرسيّة. ويمكن تصنيف إجاباتهم كالتالي:

تساهم الأنشطة الثقافيّة أساسا في إعادة تأسيس مفهوم جديد للمدرسة، إذ يشير بلال أن "النوادي تعطي للمدرسة روحا، لتستحيل فضاء للحياة لا مجرد مكان لتلقين الدروس". وهذا أمر في غاية الأهميّة خاصة أن الحياة داخل المدرسة "أصبحت رتيبة وباهتة" (Chaouch, H. 2018: 50). لهذا لا بد من "العمل المتواصل الذي يضفي مزيدا من الحيويّة على الحياة المدرسيّة عبر ما ينجز من أنشطة اجتماعيّة وثقافيّة ورياضيّة وترفيهية" (الصّغير وآخرون، 2009: 16). ولا تكفي بعض الأنشطة التي تقام بمناسبة الاحتفال بعيد وطني كعيد الشهداء مثلا، وإنما يجب أن تكون الأنشطة مستمرة إن لم نقل كل أسبوع، فكل نصف شهر على الأقل. ومن شأن هذا أن يساهم في تعلّق التلميذ بالمدرسة وهو "مؤشر ضروري على الأداء النفسي، إذ يُبرز أهمية الارتباط العاطفي والنفسي بهذه البيئة. يرتبط الموقف السلبي تجاه المدرسة بخطر التسرب الدراسي، بينما ترتبط العلاقة الجيدة بالمدرسة بالرفاهية، وقلة السلوكيات الخطرة، وارتفاع معدلات النجاح" (Thuit–Jolicoaeur, A et al., 2023: 431)

وتلعب النوادي المدرسيّة، والزيارات الميدانيّة، والخرجات الترفيهية دورا في غاية الأهميّة في تحسين المناخ المدرسي. ويشمل هذا الأخير، خمسة عناصر: العلاقات، والتدريس والتعلم، السلامة، البيئة المادية، الشعور بالانتماء (Debarbieux, E., 2015: 13). ولا شك أن مشاركة التلاميذ في نادي أو أي نشاط ثقافي بإشراف إطارات من المؤسسة التعليمية يساهم في تحسين العلاقات فيما بين المتعلمين وبينهم وبين المربين مما يعزز من تعلم "العيش معا" الذي يعد أبرز مبادئ الحياة المدرسيّة. وتساعد الزيارات الميدانيّة على ربط التعلم بالحياة. قام في هذا الإطار بلال (مدير حضانة مدرسيّة) رفقة تلاميذه بزيارة ميدانيّة لورشات مركز التكوين المهني بحفوز وأطلعوا على الورشات الموجودة فيه من نجارة وخياطة وميكانيكا... كان هذا أثناء دراسة التلاميذ لمحور المهن. هكذا تربط التعليمات بالحياة الواقعية، فكيف يمكن للمتعلم أن يفهم هذه المهن من خلال الجانب النظري ومشاهدة الصور؟ وكيف يمكن أن نطالبه بإعداد مسرحيّة حول النجارة وهو لم يسبق له زيارة ورشة ولم ير فعليا الآلات المستعملة في هذه المهنة؟ وكيف سيشعر التلميذ بالانتماء إلى المؤسسة وهو لم يشارك

في نشاط ولا في أخذ قرار ولم يقم بأي عمل تطوعي مثل حملة نظافة في ساحة المدرسة ومحيطها الخارجي، أو إعداد رسوم جداريّة...؟ بشكل عام يؤثر المناخ الجيد "على نجاح التلاميذ: إن تعزيز ثقافة العمل التعاوني ووجود معلمين لديهم علاقات جيدة مع تلاميذهم يؤدي إلى نتائج أفضل في الرياضيات والكتابة والقراءة" (Debarbieux, E., 2015: 14).

تعمل الأنشطة التي يقدمها التلاميذ في مختلف المستويات على التعريف بالمؤسسة على نطاق جهوي ووطني وتطرح المشاغل المسكوت عنها. يمكن أن نعود إلى القضايا التي تطرحها الأفلام سواء الفائزة على مستوى وطني أو على مستوى جهوي. فقد تحدث فيلم "**حلمة**"، الذي أخرجه أستاذ التعليم الابتدائي، بلال عن مشكلات غياب النقل المدرسي في الأرياف، وافتقار المدارس الريفيّة للأنشطة الثقافية... هذه الأشياء البسيطة تحولت إلى حلم بالنسبة للتلميذ الذي أيقظه المعلم من النوم في حصة الدرس، وينتهي الفلم على قول الطفل "سيدي كنت نحلم". وتطرقت أعمال أخرى إلى الإدمان الإلكتروني مثل فلم من إنتاج مدرسة بريد سكرة يحمل عنوان "**تنويه... تجربة**" وهو متوفر على قناة يوتيوب المؤسسة... وكان الهدف من نادي الصورة بإشراف الأستاذة شيماء "دمج المتوحد وجعله يشارك في حياته التربويّة والاجتماعيّة" وطرح فلم "نجمه"، وهو من إخراج أستاذ التعليم الابتدائي وسيم، مشكلة التنمر، بين صفوف التلاميذ. تظهر التلميذة "نجمة" منذ بداية الفلم منزوية، ويسخر زملاؤها من اسمها من خلال رسم نجوم في السبورة وكتابة كلمات قمرة، هلالة، يا نجمات، خالتي نجمة... إلا أن الفلم ينتهي بمشهد قص الفتاة أوراق في شكل نجوم وإلصاقها في شريط وتعليقه في غرفتها. وحسب تواصلنا مع المخرج أشار إلى أن نهاية الفلم كانت بفكرة من التلميذة صاحبة الدور. وأن الهدف الأساسي منه هو أن يثق التلاميذ في أنفسهم ولا يتأثرون بالتنمر.

تحيلنا الأعمال التي يقدمها تلاميذ المدارس الابتدائية بإشراف من أساتذتهم عن ارتباط هذه الأنشطة بتنمية المهارات الحياتية. إذ تساهم النوادي المدرسيّة والأنشطة الثقافية أساسا في تعزيز ثقة التلاميذ في أنفسهم، فتلميذ يشارك في التمثيل في فلم أو مسرحيّة قد يكتشف في نفسه موهبة لم يكتشفها في حصة الدرس، "مواهب غالبا تبقى مدفونة في القسم وهذا ما قد يعزز ثقة التلميذ بنفسه واكتشافه لذاته" على حدّ تعبير بلال (أستاذ). وهذا ما ذهب إليه تيوت جوليكور وآخرون إذ يقولون "قد تُظهر فتاة مراهقة تشارك بشكل مستقل في فريق تنس الريشة تقديرًا إيجابيًا للذات لأنها تستمتع بهذا النشاط، مما قد يقودها إلى اكتشاف جانب جديد من هويتها" (Thuot-Jolicoeur et al., 2023: 431). وتساهم الأنشطة أيضا في التعاون والعمل بروح الفريق. يمكن أن نذكر كمثال التحقيقات الصحفيّة التي يقوم بها تلاميذ نادي الصّحفي الصغير فقد أجرى سبعة تلاميذ تحقيقا لآراء

الأولياء حول قرار منع الدروس الخصوصيّة خارج المؤسسات العموميّة[1]. وأشار بلال (مدير حضانة) أن الأنشطة الثقافيّة تحسّن من قدرات التلميذ التواصليّة، فبعض التلاميذ يأتون إلى المؤسسة في بداية السنة الدراسيّة عنيفين ولا يحسنون التواصل. إلا أن تلك السلوكات تتغير في منتصف السنة ويصبح الطفل أكثر توازنا وقدرة على التواصل ليس في المؤسسة فحسب وإنما خارجها أيضا. وبفضل جملة من الورشات (رسم، مسرح، كورال...) حول العنف التي قام بها الصحبي مع مجموعة من الزملاء شهدت المدرسة تقلصا كبيرا في نسب العنف في شهر ماي الذي يعد أكثر شهر تتزايد فيه تلك الظاهرة.

أكّد أساتذة التنشيط من جانبهم عن أهميّة الأنشطة في تحسين المناخ الدارسي من جانب تقليل العنف. وتحدث في هذا الإطار منير عن تجربة كانت لإطارات التنشيط مع التلاميذ المقيمين بالمبيت في مدرسة إعدادية. فبعد أسبوعين من تقديم بعض الأنشطة الحسية الحركية لهذه الفئة، ظهر الفرق حسب ما أكده الإداريون بالمؤسسة التعليمية. إذ التزم التلاميذ بنظام المبيت تلقائيا كالخلود إلى النوم الساعة التاسعة، عكس ما كان يحدث في الأسابيع القليلة الماضية وخاصة يوم الجمعة إذ ترتفع نسب العنف، يوم قبل مغادرة التلاميذ للمبيت في عطلة نهاية الأسبوع. من جانبها أكدت أحلام أن الهدف الأساسي لعمل إطارات التنشيط في المؤسسات التعليمية ليس بعث النوادي والقيام ببعض الأنشطة الثقافية أو الرياضيّة... فالحل بالنسبة لها لا يكمن في هذا، لأن من سيشارك في هذه الأنشطة أو النادي هم تلاميذ منضبطون في الأساس. وهذا فعلا ما أشار إليه عادل في حديثه عن المنخرطين في نادي الإنجليزية إذ قال "تلاميذ شعبة الرياضيات نخبة المعهد". يمكن أن نتساءل هنا ما الفائدة من تأطير نادٍ لا ينخرط فيه إلا المنضبطون؟ ألا يجب أن يركز المشرفون على النوادي والأنشطة الثقافيّة بصفة عامة على التلاميذ الذي يعانون من صعوبات في التعلم، ويسلكون سبلا محفوفة بالمخاطر. يعد الحل، بالنسبة لأحلام، في الإنصات للشباب التلمذي، الذي لا يرتاد مؤسسات التنشيط ولا ينخرط في ناد ولو توفّر في مؤسسته، وتعديل سلوكهم، والاشتغال خاصة على السلوكات المحفوفة بالمخاطر خصوصا أن بعض الشباب عند احتكاكهم بإطارات التنشيط يتحدثون معهم على مشكلات خاصة مثل محاولة بعضهم الانتحار، أو استقطابهم لاستهلاك المخدرات...

ويتساءل المنشطون عن سبب عدم انتداب أساتذة تنشيط في المؤسسات التعليمية خصوصا أنّ عملهم سيتجاوز التنشيط إلى الإنصات ولعب دور الوسيط. وأن عملهم سيكون مرفوقا بتقارير سواء شهرية أو ثلاثيّة. يتحدث هنا منير أن إطارا إداريا بمؤسسة اتصل به بشأن وضعيّة تلميذ هدّد

[1] ورد هذا التحقيق في العدد التاسع للسنة الدراسيّة 2024– 2025، من مجلة فوانيس، المجلة الصادرة عن نادي الصحفي الصغير بمدرسة حي الزياتين بحفوز. والتي مكننا منها الأستاذ المشرف.

بالانتحار. فجلس مع التلميذ، ونسّق مع ديوان الأسرة والعمران البشري لتخصيص حصة له مع أخصائية نفسيّة، في وقت كانت فيه الأخصائية النفسيّة في مندوبيّة التربية في عطلة.

يمكن أن نختم بأن توفير إطارات تنشيط في كل مؤسسة تعليميّة وفي المدارس الابتدائية أساسا يعد أمرًا غاية في الأهميّة. فإن كان أطفال المدن باستطاعتهم ارتياد مؤسسات التنشيط (نوادي أطفال، دور ثقافة ودور شباب...) ويمارسون أنشطة متنوعة حتى وإن غابت في مدارسهم، فإن المدرسة تعد الفضاء الوحيد لممارسة أطفال الأرياف للأنشطة الثقافية. وعموما يبلغ عدد نوادي الأطفال المتنقلة 32 مؤسسة سنة 2024 (الإدارة العامة للطفولة، 2024: 7)، في حين يبلغ عدد المدارس الابتدائيّة 4593 (الإدارة العامة للدراسات والتخطيط ونظم المعلومات، 2025: 7) وإن لم نستطع الوصول إلى عدد المدارس الريفيّة فمما لا شك فيه أنّ عددها أكبر بكثير من عدد نوادي الأطفال القارة والمتنقلة. هذا ما يجعلنا نقول إن المدرسة هي الفضاء الأمثل لديمقراطية الثقافة ووصولها عنوة لكل الفئات، فهي توجد في كل مكان عكس مؤسسات التنشيط.

الخاتمة:

رغم الاهتمام بإدماج الأنشطة الثقافية في المؤسسات التربويّة وتطرق جميع برامج الإصلاح الأخيرة إلى أهمية تنشيط الحياة المدرسيّة، إلا أن المؤسسات التعليميّة التونسيّة تشهد ضعفا كبيرا في هذه الأنشطة.

تعود أسباب هذا الضعف إلى عديد المشكلات لعل أبرزها سيطرة الدروس الخصوصيّة على أغلب وقت التلاميذ، وضيق وقت الأستاذ، وعدم اهتمام الإدارة وأغلبية الأساتذة بالأنشطة الثقافية واعتبارها أنشطة ثانويّة، وغياب الإمكانيات، وضعف المنح المسندة للمشرفين على الأنشطة، إضافة إلى غياب إطار مختص في التنشيط، وتضارب وقت عمل مؤسسات التعليم مع مؤسسات التنشيط. وتعاني المدارس الريفية صعوبات مضاعفة في هذا المجال مما تعانيه المدارس الحضريّة.

ونظرا للدور الكبير للأنشطة الثقافية في تحسين مناخ المدرسة من حيث تحسين العلاقات، وتقليل نسب العنف، وربط التعلمات بالحياة... مما يبعث الحياة في المدرسة. لا بدّ من الاهتمام بتكوين أساتذة التعليم في التنشيط. وإن كان هذا موجودا بالنسبة للخريجين الجدد من أساتذة التعليم الابتدائي إذ هناك مواد في علاقة بالتنشيط التربوي والثقافي، فضروري أن تضاف هذه المواد لغيرهم من خريجي أساتذة التعليم الثانوي... كما لا بد من تخصيص جزء من التكوين المستمر للأساتذة في هذا المجال، كما يجب دعم المنحة المسندة لساعات التنشيط الثقافي، وجعل الأنشطة الثقافيّة إجبارية بالنسبة للتلاميذ مثلها مثل بقية المواد، وتشكيل إطارات تنشيط في مؤسسات التعليم تكون مهمتهم بالإضافة إلى تأمين الأنشطة الثقافيّة، مرافقة التلاميذ الذين يعانون من صعوبات تعلم، وتركيز خلايا إنصات، ولعب دور الوسيط بين إدارة المؤسسة التعليمية والأولياء وباقي المؤسسات.

لم يخلُ هذا البحث كغيره من البحوث الميدانية من صعوبات، تمثلت أساسا في صعوبة التواصل مع بعض الأساتذة ممن لهم تجارب في التنشيط الثقافي خاصة مع انطلاق السنة الدراسيّة. ولم نشتغل في هذا المقال على ما يدوّنه بعض المشرفين على الأنشطة في المؤسسات التعليميّة سواء في المجموعات الافتراضيّة أو في صفحاتهم الشخصيّة، ولعلّ هذا يعد من حدود هذا البحث، وربما يكون موضوع بحث جديد.

قائمة المصادر والمراجع:

1- الإدارة العامة للدراسات والتخطيط ونظم المعلومات. (2024- 2025): التربية في أرقام. تونس: وزارة التربية.

2- الإدارة العامة للطفولة. (2024): الدليل الإجرائي لنوادي الأطفال المتنقلة. تونس: وزارة الأسرة والمرأة والطفولة وكبار السن.

3- بالراشد، محمد والطاهري، فوزي وكمون، سهيل. (2019): التربية على مهارات الحياة اليومية أسس مرجعية ونماذج تطبيقية، تونس: وزارة التربية ووزارة الصحة.

4- بالعربي، علي. (2017): سياسات الثقافة "التي نريد" سبعون سنة من تأملات وتصوّرات أجيال المثقفين (... 1946- 2016...)، تونس: دار سحر للنشر.

5- بامو، صابر. (2024). التشريع التربوي نحو مدونة جامعة دراسة مقارنة بين فرنسا والمغرب. مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث, 4(10). https://doi.org/10.56989/benkj.v4i10.1278

6- الحبيب، سامي. (2022): "جودة الحياة المدرسية وتجذير الشعور بالانتماء"، كراسات المنتدى، ع 5، المنظومة التربوية التونسية واشكاليات الجودة، المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 2022.

7- السباعي، خلود. (2013): الوساطة المدرسية: مبررات التخصص وبيداغوجيا العمل، مجلة علوم التربية، ع 56، صص 16- 39.

8- سللي، عبد العالي. (2022). المقاربة التكاملية في التدريس بالكتاب المدرسي لمادتي الجغرافيا وعلوم الحياة والأرض بالمرحلة الثانوية التأهيلية بالنظام التعليمي المغربي . مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث, 2(12). https://doi.org/10.56989/benkj.v2i12.36

9- الصّغير، علي وآخرون، (2009): الحياة المدرسيّة بالمدارس الإبتدائيّة وثيقة ارشادية. تونس: الإدارة العامة للمرحلة الأولى من التعليم الأساسي، وزارة التربيّة والتكوين.

10- عبد المولى، محمد نجيب. (2014): دليل تسيير نوادي التربية على المواطنة وحقوق الإنسان، تونس: المعهد العربي لحقوق الإنسان، وزارة التربية.

11- فزة، جمال واحجيج، حسن. (2019): البحث الكيفي في العلوم الاجتماعيّة نظريات وتطبيقات، ط 1، المغرب: فضاء آدم للنشر والتوزيع.

12- وزارة البيئة ووزارة التربية، دليل المكون في التنمية المستدامة في المؤسسات التربوية، تونس 2021.

13- وزارة التربية. (2007): الإصلاح التربوي الجديد الخطة التنفيذية لمدرسة الغد 2002-2007، تونس.

14- وزارة التربية، الكتاب الأبيض مشروع إصلاح المنظومة التربوية في تونس، تونس، 2016.

15- ونّاس، المنصف. (2014): **الشخصية التونسيّة محاولة في فهم الشّخصيّة العربيّة**، ط 3، تونس: الدار المتوسطية للنشر.

16- Anne Nadeau, (2021). ***Conceptions d'enseignants du primaire sur leur rôle de passeur culturel: effets de dispositifs d'intégration de la dimension culturelle à l'école québécoise***. ***Recherches qualitatives***, N *40*, PP 128-153. https://doi.org/10.7202/1076350ar

17- Chaouch, Hamida. (2018). **L'animation socioculturelle en tunisie: L'état des lieux**, Tunis: ANIMA TUNISIE.

18- Debarbieux, É. (2015). **Du "climat scolaire": définitions, effets et politiques publiques**. Éducation & formations, Climat scolaire et bien-être à l'école, 88-89, PP 11-27.

19- Fornara, K. (2006). École et culture: **contribution à la définition de la mission culturelle de l'institution sdolaire Québécoise**, Mémoire présenté comme exigence partielle de la maitrise en éducation, Université du Québec à montréal.

20- Julien Netter (2016). **La réforme des rythmes à l'école: Une appropriation socialement différenciée des activité culturelles**, Espaces et sociétés. N 166. PP 63- 77.

21- Thuot-Jolicoeur, A et al. (2023). **La participation à des activités parascolaires à l'adolescence: l'importance de la motivation autonome**. Revue de psychoéducation, N 52, PP 426-457.

22- Unicef. (2014). **Tunisie rapport national sur les enfants non scolarisés**.

23- Yoan Dufrenne (2014). **Le CPE et l'animation éducative dans les établissements scolaires**, Administration et éducation, N 142. PP 37-43. https://doi.org/10.3917/admed.142.0037